

سوسيولوجيا العالم الافتراضي دراسة تحليلية

في علم اجتماع الاتصال

م. ايناس محمود عبدالله *

تأريخ القبول: ٢٠١٨/١٠/٢٢

تأريخ التقديم: ٢٠١٨/٩/٣٠

المقدمة :

يضرِب مفهوم الجماعة الاجتماعية بـماضٍ بعيدٍ في تاريخ علم الاجتماع ، ولقد تمت دراسة الجماعات الاجتماعية وتفاعلاتها بأشكال وطرق متعددة وايضا الظواهر المختلفة التي ترتبط بها اعتمادا على فلسفات وخلفيات اجتماعية متباينة والجديد في هذا الشأن ان الانترنت ساهم في خلق انماط غير تقليدية من الجماعات ومن العلاقات الاجتماعية والتفاعلات التي لا ترتبط بهوية او قومية بذاتها ، بل تتم عبر الفضاء المعلوماتي الذي تشكل بفضل الانترنت ، فلا يشترط في تأسيس هذه الجماعات بيئة جغرافية واحدة او هيكل او بناء محدد لها كما هو متعارف في الجماعات التقليدية ولكن تتم العضوية في هذه المجتمعات من خلال معرفة الفرد التفاعلي باستخدام تقنية العبور الى الجماعة المشتركة ، ويطلق عليها المجتمعات الافتراضية ويتطور هذه المجتمعات اصبحت ساحة جديدة للتفاعل والعلاقات الاجتماعية وبفضاء مفتوح للجميع ، وبذلك ادرك العديد من المهتمين والباحثين في علم الاجتماع من الضروري انشاء فرع جديد يهتم بدراسة المجتمعات الرقمية وهو ما عرف بعلم الاجتماع الاتصال او علم الاجتماع الالي .

المبحث الاول

اولا: مشكلة البحث:

تشكل دراسة الجماعات الاجتماعية بونقة اهتمام العديد من الدراسات في المجالات الاكاديمية المختلفة فلقد اهتم الباحثون في مختلف التخصصات على دراسة الجماعات الاجتماعية في مشكلاتها وبنائها ونظمها وقيمها المتشكلة داخل هذه الجماعات والتأثيرات المختلفة بين الجماعات بعضها البعض ، كما لعب المجتمع دورا اساسيا في

* قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

تكوين الافراد وتنشئتهم على اعتبار ان الاسرة هي الخلية الاولى التي يتكون منها الطفل ومنها يكتسب جميع مبادئه الاولى في الحياة ومختلف العلاقات الاجتماعية ، الا ان المستحدثات التكنولوجية وخاصة الانترنت ساهم في انتقال جزء كبير من هذا الدور الى مجتمع جديد وهو عالم "المجتمع الافتراضي" المتمثل في شبكات التواصل الاجتماعي وهي "الانترنت والهاتف النقال " الامر الذي فتح الباب امام هذه الانماط من المجتمع الافتراضي كي تحل محل الحوار ومحل العلاقات الاجتماعية ، كما افرزت هذه التحولات التكنولوجية الناتجة عن المجتمع الافتراضي تفاعلات وثقافات وهويات جديدة جعلتها بعيدة عن الحياة الواقعية وهذا مما يؤدي الى تأثيره الممتد من داخله الى التفاعلات الواقعية ومن ثم له ابعاد وانعكاسات على الحياة الواقعية بسبب التناقض بين العالم الحقيقي والعالم الافتراضي .

ثانيا : اهداف البحث

١. يهدف البحث الى التعرف والتعريف بالمجتمع الافتراضي ومفاهيمه وما يحتويه هذا المجتمع من ثقافة وهوية افتراضية وتفاعل رقمي .
٢. فهم علاقة الافراد بالعالم الافتراضي الذي اقتحم مجتمعنا بشكل مفاجئ
٣. التعرف على الاسباب والظروف الاجتماعية التي تدفع افراد المجتمع الى تكوين علاقات اجتماعية عبر الفضاء الرمزي .

ثالثا : اهمية البحث

١. تكمن اهمية البحث كمساهمة علمية لأثراء هذا الموضوع ومن خلال الفترة الزمنية والتي نعيشها والتي تتميز بثورة الاتصال وانتشار المجتمع الافتراضي .
٢. الزيادة المستمرة لأعداد مستخدمي برامج التواصل الاجتماعي من كافة الفئات وهو ما يجعل مستقبل العلاقات الاجتماعية في مجتمعاتنا العربية محل تساؤل .
٣. ان المجتمع الافتراضي تمثل دراسته وعدد كبير للباحثين بأعتبار هذا المجتمع يقدم تفسير لفهم نتائج التقنية الالكترونية على التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية .

رابعاً: المنهج المستخدم في البحث :

ان هذا البحث ينتمي الى قائمة البحوث الاستكشافية او الاستطلاعية من خلال عمليات البحث والمسح لبعض التراث في هذا المجال من الدراسات حول اكتشاف افكار جديدة واستبصارات متباينة تفيد فهم المشكلة المدروسة ولأجل مستقبلية اكثر عمقا^(١).

خامساً : مفاهيم البحث

سوسيولوجيا : انجليزي sociology او علم الاجتماع : وهو العلم الذي يدرس المجتمعات والقوانين التي تحكم تطوره وتغيره ، ترجع اصول علم الاجتماع لعصور قديمة ، ففي اليونان حاول ارسطو وافلاطون تفسير اسباب التغيرات الاجتماعية والقوى التي تحرك حياة الناس واصل الدولي والقانون والسياسة ونجد في كتابات ابن خلدون وميكافلي وجان جاك روسو و هيجل عناصر مهمة في دراسة المجتمع ، وكلمة سوسيولوجي كلمة استخدمها اوكت كونت للدلالة على علم الاجتماع وعلم السوسيولوجيا اليوم هو من العلوم المهمة التي اخذت المجتمعات المتطورة الاهتمام به اكثر من السابق لكونه يساهم مساهمة فعالة في تتبع مشاكل الفرد والمجتمع وقد يعرض حلوله وبرامجه في نفس الوقت^(٢).

التعريف الاجرائي : وهو العلم الذي يدرس المجتمعات الانسانية والمجموعات البشرية وظواهرها الاجتماعية .

العالم الافتراضي : هو عبارة عن مجموعة من المستخدمين يجسدون شخصيات افتراضية ضمن بيئة ثنائية او ثلاثية الابعاد يعتمدون على المحاكاة الحاسوبية كوسيلة للتخاطب والتواصل مع الاشخاص الافتراضيين الآخرين الموجودين في هذا العالم ، ويسمى بالافتراضي نظرا لكون جميع مابه من اشخاص وبيئة ووسائل تواصل افتراضية وليست واقعة ويشيع استخدام العالم الافتراضي عادة في العاب تقمص ادوار الاعبين عبر الانترنت ، وهذا العالم الافتراضي يتيح لمستخدميه فرصة العيش ببيئة ثلاثية الابعاد كأنها حقيقة وبشكل ادق في هذا العالم يمتزج الخيال مع الواقع بشكل عميق .

(١) ديوبولد ب فان دالتي، ترجمة محمد نبيل نوفل ،مناهج البحث في التربية وعلم النفس، مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٧، ص٣٦٥.

(٢) سوسيولوجيا ، ويكيبيديا ، <http://arz.m Wikipedia.org>

وتعريفه من الناحية الاجتماعية فهو المجتمع التي تتواصل فيه مع آخرين تربطنا بهم بيئة برامج التواصل الحديثة مثل (تويتر ، فيس بوك ، واتس اب ، بلاك بيرى ، بيكر ، انستغرام ، الخ) وهو مفهوم مركب يشير الى علاقات تظهر بين الافراد الذين يشتركون عبر الانترنت ويستغل هذا المجتمع التقنيات الالكترونية وادواتها في تحقيق وتنفيذ اهتمامات اجتماعية^(١).

الدراسات السابقة :

١. دراسة ماهر عبد العال^(٢) "العلاقات الافتراضية بين الشباب في المجتمع السعودي" تم تطبيق الدراسة الميدانية بالاعتماد على منهج المسح الاجتماعي على عينة عشوائية بسيطة قوامها (٣٤٠) مفردة من طلاب وطالبات كلية التربية والاداب بجامعة تبوك بالمملكة العربية السعودية وكان الهدف الرئيسي للدراسة هو التعرف على خصائص ومميزات العلاقات الافتراضية وكيف تشكلت، كما تناولت هذه الدراسة البحث عن ماهية العلاقات التي يقيمها الشباب في المجتمع السعودي بأستخدام الانترنت . خلصت الدراسة الى العديد من النتائج اهمها ، ان الاقارب يمثلون الفئة الرئيسية التي يتواصل معها من خلال افراد عينة الدراسة عبر العلاقات الافتراضية على الانترنت اما النسبة الغالبة من افراد عينة الدراسة اشارت الى انها تتواصل فقط مع الاناث عبر شبكة الانترنت اما عن الغرض من اقامة العلاقات الافتراضية فقد تمثلت في قضاء وقت الفراغ واقامة علاقات جديدة وصلة الرحم وان النسبة الغالبة من افراد العينة اكدت على ان العلاقات الافتراضية تخضع لمعايير وتقاليد ورقابة المجتمع .

(3) طيبي احمد وعزابي سمية،المجتمع الافتراضي والعلاقات الاسرية(دراسة استطلاعية على مستخدمي

الانترنت بمدينة سيدي عمران).<http://Manifest.univ-ouargla>

(1)ماهر عبد العال الضبع،العلاقات الافتراضية بين الشباب في المجتمع السعودي ، 6/8/2015 ،

<https://wwwresearchgate.net>

٢. دراسة بايوسف مسعودة^(١) "الهوية الافتراضية الخصائص والابعاد" وهي دراسة استكشافية على عينة من المشتركين في المجتمعات الافتراضية استهدفت الباحثة عينة من المستخدمين للمجتمع الرقمي وكانت (٦٠) مفردة ممن اجابوا ، اذ قامت بنشر الرابط بين منتدبين ومجموعتين بريديتين على موقع الفيس بوك من اجل الوصول الى اكبر عدد من الافراد الا ان عدم وجود الوقت الكافي جعل الباحث يقوم في عرض استبياناه لمدة خمسة ايام فقط لم يسمح للباحث من عرض الاستبيان اكثر من خمسة ايام وكان الهدف من الدراسة هو التعرف على الهوية الرقمية وتشكيلها من خلال مجتمع الانترنت وكيف يتفاعل الافراد داخل هذا المجتمع وتأثير هذا التفاعل على الحياة الواقعية ، وقد جاءت نتائج الدراسة تثبت تقارب ملامح الهوية الافتراضية من ملامح الهوية الشخصية الحقيقية كما تثبت الاثر الايجابي لها على تفاعل الافراد وسلوكهم وبقاء ارتباطهم بالمجتمع الحقيقي ومعايره مما يؤدي الى زيادة الاهتمام بالمجتمعات الافتراضية والاستفادة منها في المجال التعليمي والاجتماعي والثقافي.

المبحث الثاني

الجماعة الاجتماعية وانماط الاتصال

اولا: العلاقة بين الفرد والجماعة الاجتماعية:

منذ نشأة المجتمعات كان للفرد الدور الاساسي في تكوينها ونظرا لان الانسان بطبيعته كائن اجتماعي لايمكن ان يعيش في عزلة بمنأى عن الآخرين فنجد ان كل فرد ينتمي الى جماعة معينة لشعوره بالانجذاب نحوها ونحو النشاطات التي تمارسها ، فأنضمام الافراد مع بعضهم تمثل النواة الاولى لتكوين الجماعات وبالتالي سوف تتكون المجتمعات بمختلف اشكالها "الفرد والجماعة والمجتمع" هو بناء متكامل لان الفرد هو نواة المجتمع وهو مصدر قوته واليد العاملة فيه فإذا كان المجتمع هو الذي يضع الاهداف العامة والمهام المتوقعة من كل فرد فإن الفرد هو يقوم بفعل التنفيذ وهو من يؤدي الادوار المطلوبة منه ويشارك في تحقيق الاهداف التي رسمها المجتمع له وفقا

(2) بايوسف مسعودة ، الهوية الافتراضية الخصائص والابعاد ، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، عدد خاص الملتقى الدولي الاول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري ، ٢٠١٦ ، ص ٤٧١.

لمعايير الاداء المتوقع منه بصرف النظر عن غرائزه التي تميل الى الانانية وحب الذات والرغبات الشخصية وبالتالي سوف يوصف الفرد بالتزامه لمعايير المجتمع ، اما اذا صدر عدم الالتزام منه فهذا يعني مخالفته للأطوار العام الذي يرسمه المجتمع ومخالفا للمعايير المتفق عليها. وهنا يوصف بالاهمال لأنه لم يؤد دوره الاجتماعي المطلوب منه . هذا وقد يشغل الدور الاجتماعي الفرد والمجتمع على حد سواء فعليه تبرز مكانة الدور من خلال الواجبات الملقاة على الفرد فيحاسب عليها اجتماعياً فكلما زادت الادوار والوظائف زادت مكانته اجتماعياً اما الجماعة فهي وحدة تتكون من مجموعة قليلة من الافراد يتصفون بادراك اجتماعي متشابه بينهم تفاعل اجتماعي واهداف مشتركة ويرتبطون في بيئة جغرافية واقتصادية واجتماعية ويمكن من خلالها تحديد الافراد لادوارهم ومكانتهم الاجتماعية . وتختلف الجماعات باختلاف المحكات التي تعتمد عليها في التصنيف ومن هذه المحكات هي الحجم والثبات ونوعية العلاقات وطريقة الانشاء وامكانية الدخول في الجماعة هذا ولكل جماعة هدف او مجموعة من الاهداف التي تسعى الى تحقيقها التي تنشط وتحرك طاقات افرادها في تفاعلهم الاجتماعي مع بعضهم البعض ، ومهما يكن من شئ فإن هدف الجماعة يجب ان يكون مصدر تأثير في اعضائها ويدفعهم الى العمل على تحقيقه وان درجة هذا التأثير يختلف من هدف الى هدف ومن فرد الى اخر اي ان هدف الجماعة يجب ان يكون مرتبطا بدوافع الافراد وحاجاتهم كما يجب ان يكون مصدر تأثير على الافراد ويدفعهم الى النشاط في تحقيقه^(١). اما المجتمع فهو مجموعة من الافراد الذين يعيشون في بيئة محددة تربطهم علاقات ثقافية وحضارية واجتماعية، ويرى البعض من علماء الاجتماع ان هناك فرق بين الجماعات المشتركة وبين المجتمع فالجماعة المشتركة يشترك افرادها في الوطن دون وجود علاقات تفاعلية بينهم على النقيض يكون المجتمع ويميزه وجود بيئة اجتماعية وتفاعل اجتماعي في هذه البيئة وهو ما اكده عالم الاجتماع "تونيز"^(٢) .

(١) خالد محمد ناصف ومحمد عزت كاتبي، علم النفس الاجتماعي، منشورات جامعة دمشق، ٢٠١٢،

ثانيا : الاتصال الانساني والتفاعل الاجتماعي :

يشير مفهوم الاتصال الى العملية التي يقوم بها الشخص في ظرف ما بنقل رسالة ما ، تحمل معلومات واء او اتجاهات او مشاعر الى الآخرين لهدف ما عن طريق الرموز. وينبغي ان نميز بين انماط معينة من انتقال الافكار والمعلومات، النمط الاول هو الانتقال ذا الخط الواحد والنمط الثاني هو الانتقال ذا الخطين.

ونقصد بالنمط الاول ان المعلومات والافكار تنتقل من مركز اصدار او ارسال الى مركز استقبال بحيث يكون مركز الارسال هو الوجه الايجابي بينما يكون موقف مركز الارسال سلبيًا تمام بمعنى اخر ان عملية التفاعل والتبادل تكاد تنعدم في مثل هذا النمط وهنا لانستطيع ان نطبق اصطلاح الاتصال تطبيقًا تامًا ونستعوض عنه بمفهوم الانتقال او النقل لان بعد التفاعل والتبادل من اهم مايميز الاتصال كمفهوم وعملية اما النمط الثاني فانه يعني ان العملية الموجودة عملية تبادل في الافكار اكثر منها انتقالًا وعملية تبادل في المعلومات هي عملية تفاعل مستمر ونستطيع ان نقول ان النمط الاول يشير الى الاتصالات الجمعية بينما يشير النمط الثاني الى الاتصالات بين الاشخاص . ولقد اصبح مفهوم الاتصال مفهومًا بارزًا في تراث العلوم الاجتماعية وعنصر اساسي في الحياة الاجتماعية ، وعليه تعتمد عملية التنشئة الاجتماعية وبدونه يفقد ابناء المجتمع قدرتهم على التفاعل الاجتماعي ، اي ان اساس البناء الاجتماعي بكل تنظيماته لا يعود له وجود لانه صيغة من صيغ التفاعل الاجتماعي كما يمكن النظر اليه بوصفه احد الظواهر الاجتماعية في حياة الناس والائمة اساسا على التأثير في المواقف والقيم والاتجاهات والمعايير وانماط السلوك والتفكير^(١).

ان قدرة الفرد على المشاركة والتفاعل مع الآخرين وتبادل الاراء والافكار تزيد من فرصة على البقاء والنجاح والتحكم في الظروف المختلفة المحيطة به وقد يختلف الافراد اختلافًا كبيرًا من حيث قدرتهم على الاتصال من ناحية ومن حيث الفرص الاتصالية

(١) حميد جاعد الدليمي، علم اجتماع الاعلام (رؤية سوسيولوجية مستقبلية) دار الشروق، ٢٠٠٦، ص٤٩.

السانحة امامهم^(١) . اما عن العناصر الاساسية لعملية الاتصال بوصفها عملية انسانية فهي اربعة عناصر وهي :

١. مصدر او مرسل ، قد يكون شخصا او جماعة او مؤسسة .
٢. رسالة قد تكون خبر او فكرة او دعوة لتغيير او تجديد .
٣. مستقبل وقد يكون ايضا فرد او جماعة او جمهوراً عرضياً .
٤. ان هذه العناصر الثلاثة تكون متضمنة في عنصر رابع هام وهو الموقف الذي يحيط بكل من المرسل والمستقبل ، هذا الموقف قد يكون محدودا بحدود فيزيقية او سيكولوجية او ثقافية.

ويمكن ان نميز بين عدة انواع من الاتصال :

١. الاتصال الذاتي وهو نمط من الاحساس بالثير والاستجابة له .
٢. الاتصال الشخصي ويتم بين فردين او اكثر ويقصد به المتبادل وجها لوجه .
٣. الاتصال المجتمعي وهو الذي يحدث في المحاضرات والبرامج التعليمية .
٤. الاتصال التنظيمي وهو الذي يستخدمه المنظمات والمؤسسات .
٥. الاتصال الجماهيري وهو مشاركة عدد كبير من الافراد في موقف اتصالي عبر وسيلة اتصال جماهيرية .

والمهم في هذا الموضوع هو الاتصال الشخصي الذي يمكن تسميته بالاتصال الواجهي والذي يتيح لنا باستخدام الحواس الخمس لتحقيق التفاعل بين شخصين او اكثر في موضوع مشترك ، لذلك تتكون الصداقات والعلاقات الحميمة بين الافراد ، ويمكن تمييز هذا النوع من الاتصال بما يأتي :

١. انخفاض تكلفة الاتصال مقارنة الى الوسائل الاخرى.
٢. استخدام اللغة المناسبة لمستوى الافراد الذين نتحدث اليهم .
٣. سهولة تقدير حجم التعرض للرسالة .
٤. تلقائية الاتصال التي تظهر بوضوح في المحادثات غير الرسمية واللقاءات العابرة .

(١) جمعة جاسم خلف السباعي ، التطور التقني للاتصال وتأثيره الثقافي (الفضائيات انموذجا) دراسة ميدانية في جامعة الموصل (رسالة دكتوراه غير منشورة) ، جامعة بغداد قسم علم الاجتماع ص٣٩.

وهذا النوع من الاتصال يمكن تسميته بالاتصال التقليدي فهو النمط الاتصالي الذي قامت عليه المجتمعات البشرية ولا زال يمثل النمط الأكثر شيوعاً إلا أنه لم يعد النمط الوحيد ، فهناك ثلاث أنواع من الاتصال التفاعلي وهي التفاعل وجها لوجه وهو في حالة النقاء الناس وحديثهم في مجتمع أو احتفال ما ، ويكون التواصل في مثل هذه الحالات غنياً بالأيامات والاشارات التي يستخدمها الافراد لفهم ما يقوله الآخرون^(١) . أما التفاعل بالوسائط الذي يتضمن استخدام تقانات الاتصال مثل الورق والأيقاعات الالكترونية ويتميز بقدرته على الامتداد في الزمان والمكان . في حين شبه التفاعل بالوسائط ، وهو النوع الذي يشير الى العلاقات الاجتماعية الناجمة عن وسائل الاعلام ، ويتصف بالانتشار عبر الزمان والمكان اي انه لا يخلق الترابط الشخصي بين الافراد بصورة مباشرة ومن هنا جاءت تسميته "شبه التفاعل"^(٢).

ثالثاً : المجتمع التقليدي وثقافته :

تعد المجتمعات البشرية محور اهتمام علم الاجتماع منذ بداياته المبكرة ، كما شكل المجتمع المحلي اهم مجتمع في الدراسات الاجتماعية لما له من الاثر البالغ على حياة الفرد ففيه يعيش الانسان ، ويتربص ويكتسب ثقافته وعادة مايشكل بروابط عضوية مثل العائلة والجيرة، فالمعنى العادي للمجتمع يشير الى مجموعة من الناس تعيش سوية في شكل منظم وجماعة منظمة ، ترتبط فيها بعلاقات ثقافية واجتماعية ، تسعى الى تحقيق المصالح والاحتياجات . وتقابل كلمة مجتمع في الانكليزية (society) التي تحمل معاني التعايش السلمي بين الافراد والمهم في المجتمع ان افراده يتشاركون هموماً واهتمامات مشتركة تعمل على تطوير ثقافة ووعي مشترك يطبع المجتمع وافراده بصفات مشتركة تشكل شخصية هذا المجتمع وهويته . اذا لكل مجتمع نظم اجتماعية اساسية تشكل هيكله واطاره الخارجي وتحدد علاقات وممارسات وتفاعلات اعضائه وترسم نموذج جوهره الداخلي وعناصره المثالية والروحية التي تجسد تماسكه ونموه وتطوره ، فاذا القينا نظرة

(١) حسن عماد ولىلى حسين السيد،الاتصال ونظرياته المعاصرة،ط٨،الدارالمصرية اللبنانية القاهرة، ٢٠٠٩ ، ص٣٠٩.

(٢) انتوني غدنيز ، ترجمة فايز الصباغ ، علم الاجتماع ، ط١ ، المنظمة العربية للترجمة ، مؤسسة ترجمان ، بيروت ، ٢٠٠٥، ص٥١٦.

الى ما حولنا من الجماعات لوجدنا ان كل منها بناء يشكل وحدة متماسكة او نسق اجتماعي يتكون من اجزاء مترابطة يعتمد بعضها على بعض بحث يدخل كل جزء منها في عدد من العلاقات المعتمدة على الاجزاء الاخرى التي تكون على اشكال مختلفة تبعا لطبيعة الوظائف التي تقدمها للانسان (١) وهكذا يتكون البناء الاجتماعي من وحدات اجتماعية صغيرة يحكمها نسق من القواعد والمعايير الاجتماعية والثقافية وان هذا البناء يستند الى قاعدتين اساسيتين مهما كان حال الجماعة صغيرا او كبيرا ، الاولى وهي مادية طبيعية وهي الارض وما يقوم على سطحها من اشياء مادية وثانيها قاعدة غير مادية اي ثقافية وكل ما يدخل في اطارها من تاريخ وتراث ديني وتراث معنوي ، وهاتان القاعدتان والتفاعل الذي يحصل بينهما هو الذي يعطي خصوصية ونمط البناء الاجتماعي او اي مجتمع انساني . اما عن العلاقات الاجتماعية في المجتمع التقليدي ، تقسم الى مجموعتين ، الاولى وهي العلاقات الاولى وهي الاتصالات والتفاعلات التي تقع بين اعضاء المؤسسة مهما تكن ادوارهم الوظيفية والتي لاتحددها القوانين والاجراءات الرسمية بل تحددها مواقف وميول واتجاهات ومصالح الافراد الذين يكونونها ويدخلون في اطارها. اما النوع الثاني وهي العلاقات الثانوية وهي العلاقات التي يحدد اسسها ومفاهيمها القانون الرسمي للمنظمة وهو الذي يحدد الادوار الوظيفية لافرادها ويثبت واجباتها وحقوقها الاجتماعية وهي التي تتأثر بثلاث عوامل اساسية وهي طبيعة الادوار الاجتماعية للافراد والقنوات الرسمية للاتصالات الاجتماعية بين مراكز وشعب المؤسسة (٢).

ان المجتمع التقليدي يفرض على افرادة طريقة لباسهم فضلا عن معتقداتهم وثقافتهم بدعوى ان هذا عرف او مصلحة عامة تفرض على الجميع ، فثقافة المجتمع التقليدي لكل جماعة انسانية ولكل مجتمع تمثل بشكل عام بالمعارف النظرية والعملية لكل قوم حيث تشمل العقائد والفلسفة الاجتماعية والقيم الاخلاقية والآداب السلوكية والتقاليد

(١) الغريبي نسيمه، بناء المجتمع التقليدي- حال البدو المهاجرين الى مدينة توقرت، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد ١٧، ٢٠١٤، ص ٢٨.

(٢) احسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩، ص ٢٢٣.

الموروثة على الآباء سواء كان المجتمع بدويا ، قرويا ، ريفيا ، حضاريا ، مدنيا ، وهناك مستويين من الثقافة التقليدية لابد من التميز بينهما وهما :

١. ثقافة ماينبغي ان يكون ، وهو المستوى المثالي في القيم والتصورات النظرية الاعتقادية والذي نطلق عليه التعاليم الثقافية العليا بما فيه تقسيم الامة لنفسها وتصورها لذاتها .

٢. ثقافة ما هو كائن بالفعل وهو المستوى الفعلي التطبيقي السائد بالفعل في واقع الحياة الفعلية للأفراد وواقعها الشعبي الملموس اليومي في الشارع فقد تكون التعاليم الثقافية العليا المثالية والاصلية لهذه الامة تحث على الكرم والعدل والصدق ونصرة المظلوم ... بينما نجد هذه الامة في واقع الممارسة الشعبية الفعلية لهذه الثقافة المثالية تعيش في وادٍ آخر تتناقض مع تعاليم الثقافة الاصلية في صورتها المثالية ، ونجد الشعوب بشكل عام تعرب عن رغبتها في التعريف بنفسها لدى الشعوب الاخرى تركز على عرض قيمها وتعاليم ثقافتها المثالية العليا وتتماشى مع ذكر واقع الممارسة الشعبية والحكومية المتناقض (١) .

المبحث الثالث

العالم الافتراضي ومجتمعه

المفهوم :

بدأت الاجيال تتفاعل مع الانترنت وبالتالي مع المجتمعات الافتراضية والعناصر المكونة لهذه المجتمعات والتجمعات التي تتضمن الاتصال والتقنيات والعلاقات والمصالح المتبادلة والرموز والاتفاقات المشتركة والاجراءات والقواعد ، وهذه العناصر موجودة ايضا في المجتمعات الانسانية الطبيعية بهذا التداخل نفسه تقريباً وبالتالي ان الفضاء السايبري الذي اخترعه البشر بأستخدامه لاجهزة الكمبيوتر ، اوجد لنا نوعا جديدا من المجتمع الفردي والجماعي او الفرد الانترنتي ... كينونة حياة رقمية في مجتمع الانترنت وانتقلت بذلك الظاهرة الاجتماعية "والتي هي موضوع علم الاجتماع" سواء كانت ثقافية ام اقتصادية ام سلوكية من تمثلاتها في المجتمع الطبيعي الى تمثلاتها رقميا او آليا

(٣) توفيق السيف ، الحرية المنضبطة والشرعية- مفهوم الحرية في المجتمع التقليدي ، ١٩٩١/٢٠٠٦ ،

او صناعياً وتحول الفرد بالتالي الى انسان جديد يحمل خصائص التكنولوجيا الرقمية في عقله وجسمه وسلوكه ، كما تغيرت مكونات هويته وطبيعة انتماءاته وهو ما يحدد بحسب رأي عدد من علم الاجتماع السايبري تطوره الحضاري مستقبلا ، بعد ان اصبحت الحياة الاجتماعية او جزء منها على الاقل ، حياة رقمية في الفضاء السايبري المصنع^(١) .

وقد تنوعت التعريفات حول مفهوم المجتمع الافتراضي من ذوي التخصصات المختلفة ما بين مهتمين بعلوم الحاسوب والاتصالات ومهتمين من علماء الاجتماع ورجال السياسة ، فقد عرفها هاورد رانينغولد haward rhingold بانها العناصر الاجتماعية التي تنشأ من شبكة الانترنت عندما يتواصل عدد من الافراد في نقاشات عامة ولفترة زمنية محددة ليشعروا بشعور انساني يستطيعون من خلاله تشكيل شبكة من العلاقات الانسانية في الفضاء الالكتروني .^(٢)

اما تعريف نبيل علي ، فهي مجتمعات انسانية يجتمع فيها الاهتمامات المشتركة والاختصاصات الواحدة ومجتمعات الدردشة وقد تكون ذات مضمون سياسي او علمي او رياضي او جنسي ويمكن لاي عضو في هذا المجتمع ان يوجه حديثه لجميع الاعضاء دون استثناء او يقوم بحجب الآخرين ، ويمكن للعضو ان يقدم نفسه تحت اسماء مستعارة ، بل ويمكن ان يتكرر في شخصيات متعددة . اذا هو شكل جديد من اشكال التفاعل الانساني ويتشكل هذا المجتمع عندما يتفاعل افراده باستمرار دون الارتباط بثقافة او مجتمع معين او مكان محدد^(٣) .

ويلاحظ من خلال تعريف راينجولد للمجتمع الافتراضي بأنه شامل الى حد ما ، فهو يركز على المقيمين الاجتماعي والتكنولوجي لهذه المجتمعات التي تنشأ اصلا بفعل الدافع الاجتماعي في بيئة التكنولوجيا وهي شبكة المعلومات اي في ظروف تكنو-

(١) نديم منصوري ، سوسيولوجيا الانترنت ، منتدى المعارف ، ط، بيروت ، ٢٠١٤ ، ص ٢٠ .

(٢) haward Rheingold, the virtual

community homesteading on the electronic frontier,introduction p.5 < http://www

Rheingold.com/ve/book/>

(٣) نبيل علي ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ٢٠٠١ ، العدد ٢٦٥ ، ص ٣١ .

اجتماعية بعدد كاف من المشاركين والاعضاء ويستمررون في التفاعل الاجتماعي رقميا لوقت من الزمن ويكفل لهم بناء شبكات من العلاقات الشخصية والجماعية المتبادلة في الفضاء الالكتروني^(١)

ان ما يميز المجتمع الافتراضي انه نتاج عقول انسانية وتفاعلات آلية لأن باستطاعة المستخدمين ان يصمموا المجتمع الذي يريدونه وفق الهدف الذي يرسمونه ، ونمو اي مجتمع افتراضي يحتاج الى مقومات مثل الهدف المشترك او وجود قيمة مشتركة بين الاعضاء تعمل على انتشار هذا المجتمع وزيادة الروابط المتينة بين افراده . ويورد شيراز حاجي، ستة مراحل لبناء المجتمع الافتراضي وهي^٢ : تحديد المجتمع - خارطة طريق - التخطيط ، اشراك المشاركين ، تعبئة المجتمع ، امثلة الانشطة والتمثيل التنظيمي.

اي ان المجتمع الافتراضي يبدأ بتحديد المجتمع "الفئة العمرية - النوع - الطبقة الاجتماعية" وتوضيح اهدافه " ثقافية-اجتماعية-سياسية-اقتصادية " يستمر في مراحل متعاقبة يزداد من خلالها مشاركة الاعضاء وحضورهم الاتصالي "زيادة الاعداد وحجم المشاركين" يتم ذلك من خلال العديد من الانشطة "عرض صور -وضع تعليقات-رسوم - تفاعلات" للوصول الى التمثيل التنظيمي شارك" ليصبح لهم تمثيل منظم وحضور قوي وفعال" وكلما زاد حضور المشاركين في المجتمع الافتراضي كان تأثيره اكبر وهذا ما يتطلب متابعة من قبل المشاركين وتكثيف حضورهم الافتراضي^(٣).

ان المجتمعات الافتراضية تتركز في غرف الدردشة والمنتديات النقاشية والحوار ، فهي تجمعات وجماعات انترنيتية تجذب مزيدا من الناس ومستخدمي الانترنت اي كل شئ يحمله في المجتمع الطبيعي ، الفرق والاختلاف هو ان اعضاء هذه المجتمعات الرقمية يتفاعلون بفعل التكنولوجيا مرات عديدة ولساعات عديدة ، اذا يمكن القول ان

(١) عبدالرحمن عزي ، الثقافة وحتمية الاتصال (نظرية قيمة) ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، العدد ٢٩ ، ص ٣٠

(٢) sheeraz haji,building successful communities,james m.green feld,and Michael Johnston,eds,nonprofit strategies,2005

(٣) نديم منصور سوسيولوجيا الانترنت ، مصدر سابق ، ص ٢٢.

المجتمع المحلي الافتراضي حقق مالم يحققه المجتمع المحلي الطبيعي بما توفره تكنولوجيا المعلومات من خدمات عالية المستوى ، وان المهم في هذه المجتمعات هو رأي وفكرة الفرد الافتراضي وليس شخصه فالمنتديات الافتراضية مثلاً تحاول ان تمنح المستخدم المرونة والخصوصية فهي لا تطلب عادة سوى اسم افتراضي وعنوان بريدي لان المهم كما ذكرنا سابقا هو الرأي وليس صاحبه الذي ربما لم يستطع لسبب او لآخر ان يسمع الاشخاص وجهة نظره في عالمه الحقيقي في حين يوفر المجتمع الافتراضي فرصة لطرح الآراء من جميع الاتجاهات ومن جميع مستويات التفكير^(١). اما النزاعات في المجتمعات الافتراضية ، فهي مرحلة اساسية للعمل فيها وذلك للوصول الى مرحلة الانجاز ، ويمكن حدوث هذه النزاعات اكثر من المجتمعات التقليدية ، وذلك بسبب عدم وجود المتحاورين وجها لوجه وعدم تمكنهم من التمازج اللفظي ، الامر الذي قد يؤدي الى سوء الفهم ثم صعوبة التعبير العاطفي بالكتابة النصية^(٢).

اذن المجتمع الافتراضي هو المجتمع "التكنو انساني" الجديد الذي يتألف من توأمية جديدة للإنسان الآلة محققا الشروط الاجتماعية مضيافا اليها ملامح وخصائص اخرى للأجتماع الانساني وهو المجتمع الذي اثر وسيؤثر بقوة في السنوات القادمة على المجتمع الانساني في واقعه اليومي وسيكون التأثير انطلقا من التغيرات التي ستطرأ على تفكير الافراد المستخدمين للانترنت وسلوكياتهم الحياتية^(٣).

النشأة :

تعود بدايات تشكيل المجتمع الافتراضي ، بظهور شبكات الحواسيب لغرض التعليم مثل شبكة بلاتو في بداية الستينات وظهور شبكة آربنت المعروفة في فترة لاحقة من اواخر الستينات و اوائل السبعينات وغيرها من شبكات الحواسيب في السبعينات

(١) علي محمد رحومة ، علم الاجتماع الآلي ، سلسلة عالم المعرفة ، ٣٤٧ ، الكويت ، ٢٠٠٨ ، ص٦٤ .

(٢) مفهوم الشخصية الافتراضية ، شباب لك ، 15\4\2003 ،

http://www.shabablek.com/vb/t1969_7htm

(٣) اخلاص اكرم رسول ، الانترنت والتغير الاجتماعي ، دراسة ميدانية في جامعة بغداد ، رسالة ماجستير في علم الاجتماع ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص٤٥ .

والثمانينات خاصة مع انتشار استخدام لوحات الاتصال المحلي لأتاحة نفاذ عام وواسع للتكنولوجيا الجديدة ، ومن اهم المجتمعات المعنية هي :

١. مجتمع محلي افتراضي اسمه ويل في سان فرانسيسكو في الثمانينات .٢. مجتمع نظام تويكس الذي أسس في طوكيو .٣. سي آي ايكس Cix في لندن .٤. كالفاتون في باريس .٥. يوزنت في الولايات المتحدة .
٦. مجتمع شبكة سيائل . ٧. نظم echo في نيويورك ستي التي كانت تستخدم بصعوبة للمحافظة على مواكبتها للتعبئة الشبكية .

ولقد واجهت مختلف هذه النظم صعوبات لخلق قاعدة بيانات للمشاركين تشمل جماعات سوسيو اقتصادية ، وفي فترة التسعينات انبثقت بعد ذلك بما عرفت (بالمجتمعات الشبكية) تمثلت نفسها كحركة اجتماعية تقنية خاصة عام ١٩٩٦ وبعد الانتشار الواسع لتكنولوجيا الويب واستخدامها المتسارع جدا في الانترنت اصبحت المجتمعات الافتراضية بمئات وآلاف الاعداد تشترك جميعا في الخصائص والاحتياجات والمهارات وخاصة تكنولوجيا الدردشة التي تدعم اليوم كثيرا من المجتمعات الافتراضية على نطاق كوني واسع.

ان نشوء احد المجتمعات الافتراضية يتطلب توفر ما يأتي :

١. تعريف واضح لاهداف المجموعة .٢. انشاء موقع مميز للمجموعة للتواصل عن طريقه .٣. وجود قائد فعال في المجموعة .٤. تعريف المبادئ والسلوك .٥. عدد الافراد المتفاعلين .٦. الدعم التكنولوجي .٧. طقوس التفاعل التكنو اجتماعي وتقاليد.
- وعبر مراحل تطور المجتمعات الافتراضية ، تسعى هذه المجتمعات الى خلق ما يسميه المهتمون ب "الشعور بالمجتمع" اي من اين ينبع الاحساس بالمجتمع او الجماعة وبهذا المجال يوجه "ماك ميلان وتشافيز" الى العوامل التي ينشأ من خلالها هذا الاحساس^١ وهي:

(١) عبد العال الديربي، المجتمعات الافتراضية-التعريف التطور الغايات، المركز العربي لاجتات الفضاء الالكتروني، ٢٠١٣-١-٢١، accron line.com

١. الشعور بالانتماء الى جماعة من خلال عضويتها ومتابعة ما يحدث فيها وسهولة تفاعل مع افرادها
 ٢. الشعور بالقدرة على التأثير في تلك الجماعة من خلال ردود الافعال التي يتلقاها الفرد من بقية الاعضاء
 ٣. يتم تبادل الدعم واشباع الحاجات النفسية الشعورية والارتباط الوجداني بأفراد الجماعة من خلال تبادل التهاني والتعازي والمؤاساة والنصيحة
 ٤. الحضور والتواجد وهما نقيض العزلة والغياب للذين نتجا عن هيمنة القيم المادية وانشغال الجميع بتأمين اسباب الحياة
 ٥. وجود الثقة ، فلا يستطيع الفرد ان يشعر بالانتماء الى جماعة او مجتمع لا يثق في احد من افراده ولا يشعر في الامان فيه .
 ٦. الخلفية المشتركة ، تزداد قوة العلاقات الافتراضية كلما تأسست على خلفية مشتركة في العالم .
- انواعه :**

١. لوحات رسائل الانترنت : وهو منتدى يستطيع الافراد من خلاله مناقشة الافكار والآراء حول مختلف الموضوعات كما يستطيع اي مستخدم طرح الموضوع الذي يريده ويعرضه للنقاش ويبقى لكل مستخدم حرية الكشف عن هويته الشخصية وصورة الحقيقة او التخفي بأسم مستعار وصوره واشهر هذه المواقع في العالم العربي هي : اكتب وهو اول موقع عربي يقدم خدمة استضافة المدونات المجانية وما زال يقدمها مدونات جيران وهذا الموقع اشهر المواقع العربية ، حفار المدونات وهو موقع يتابع المدونات العربية على مدار الساعة ويعرض روابط للتدوينات الجديدة مرتبة حسب تصويت الاعضاء ، مدونات البوابة ، قول قال وهو عبارة عن مفضلة المواقع العربية والاجنبية ، حيث يحاول جمع افضل محتويات الانترنت في موقع واحد
٢. غرف الدردشة : بدأ الافراد يتطلعون الى وسيلة للتواصل مع المجتمعات المحلية في الوقت الحقيقي وبشكل اسرع وقد فتحت غرف الدردشة مجال واسع لأجراء المحادثات مع اي شخص وفي الوقت نفسه يمكن العثور على غرف الدردشة في كل انواع الموضوعات ويستطيع الافراد ان يتقاسمون الاهتمامات نفسها ، وغرف الدردشة هي منظمات اصغر

من الشبكات الاجتماعية تقوم مقام التفاعلات الاجتماعية المباشرة في المجتمع الطبيعي وتدمج (chatting) الملايين من البشر في جميع الحضارات والثقافات والدول في حوارات سريعة ومباشرة ومن مميزات الحوار انه يتيح الفرصة للكثير من الذين يعتبرون منعزلين على انفسهم او مانسميهم غير "اجتماعيين" الذين لاتستهويهم فكرة الاختلاط في المجتمع الطبيعي والدخول في نقاشات وحوارات مباشرة ، فهم بهذا المجتمع وبشخصيتهم الالكترونية سوف يجدون متسعا من الوقت لترتيب اجابتهم ، اذ يمكن ان تعتبر غرف الدردشة ساحة ظاهرة وخفية في الوقت نفسه فهي تقدم فرصة ووسيلة جديدة للذين لديهم مواقع من تكوين علاقات اجتماعية جديدة^(١). ولابد ان نتطرق الى الحقيقة ان الدردشة تختلف في الشكل والمحتوى عن المنتديات النقاشية فالمحتوى المتبادل بين الذين يدرشون لايملك مستوى فكريا يضاهي ما نلاحظه في المنتديات والسبب لايعود للمستوى العلمي والثقافي للمدردشين بل يرجع ايضا الى الارادة والاستعداد والغاية من الاتصال ويتسم مضمون الحوار الالكتروني بالثراء نظرا للطبيعة غير الرسمية للحوار ولكون الدافع الرئيسي في الكثير من الغرف هو التسلية او الهروب من المشكلات والضغط الاجتماعي . ان معظم الابحاث الاجتماعية اكدت على ان ظاهرة التزيف في غرف الدردشة تعكس نماذج مختلفة من الجنسين ، اذ يأتون بأنفسهم بترددهم وخوفهم المسيطر عليهم من تحمل مسؤولية او مساهمة مشاركتهم على الانترنت بأسمائهم الحقيقية لاسباب عديدة تخصهم تعكس طريقة تنشئتهم وبيئة تربيتهم ، وقد يواجه التفاعل الانساني في الدردشة مشكلات عديدة ، منها ان أي عملية اتصال تتمثل في افتقاد تعبيرات الوجه الانساني وضعف السيطرة على الطرف الآخر وعدم جدية عدد منهم في النقاش فضلا على ان العديد من المشاركين يكذبون فيما يتعلق بحياتهم وآرائهم^(٢).

3. العوالم الافتراضية : وهي الاكثر تفاعلية لجميع اشكال المجتمع الافتراضي ، ففي هذا النوع من المجتمع يستطيع المستخدمون ان يعيشوا تجارب لم يعيشوها في حياتهم الواقعية ، فقد يختار المستخدم ان يكون اميرا او فارسا او مزارعا او حتى حيوانا في مجتمع

(١) حسام عبد ربه ، غرق الحوار في الانترنت، ٢٠١٠/٤/٢٧، 'www.bab.com/articles'.

(٢) نصر الدين العياضي ، الشباب الاماراتي والانترنت ، مجلة الاذاعات العربية ، اتحاد اذاعات الدول العربية ، تونس ، ٢٠٠٥ ، العدد ٣، ص ٩٨.

افتراضي هو والمشاركون ويختار كل منهم شخصيته واسلوبه في الحياة ، انها الحياة الثانية التي تعتبر اكثر العوالم الافتراضية شعبية على الانترنت .

٤. خدمات الشبكات الاجتماعية :

يعد التواصل ظاهرة اجتماعية حديثة تقوم على علاقات تفاعلية متزامنة او غير متزامنة بواسطة وسائل الاتصال الرقمي التفاعلي يتم خلالها ارسال واستقبال المعلومات بين طرفين او عدة اطراف ، وتعرف الشبكة الاجتماعية بأنها "مجموعة مواقع على شبكة الانترنت يتواصل الملايين من الافراد ولديهم روابط واهتمامات مشتركة نتيجة للتفاعل الاجتماعي وسبب تسمية الشبكات الاجتماعية لنتيح التواصل وتقوية الروابط بين اعضاءها " كما تطلق الشبكات الاجتماعية عدت تسميات منها الويب ، الشبكة الرقمية ، وسائل الاعلام الاجتماعية ، فالشبكة هي بنية اجتماعية ديناميكية تتكون من قمم واطراف ، فالقمم تشير الى اشخاص او منظمات وهي مرتبطة بعضها ببعض بتفاعلات اجتماعية وبعد تشكل الجماعة الالكترونية تأخذ بالبحث عن بعضها البعض عبر فضاءات مستقلة خاضعة بهم ، حيث يحس الفرد بأنه مركز اهتمام الجماعة وهذا مايسمى بالفردانية الرقمية التي تولد شعورا بالألفة الاجتماعية .

ويعتبر "جون بارنز" اول من عرف مفهوم الشبكات الاجتماعية فهي في مفهومها التقليدي تتمثل في نوادي المراسلة التي استخدمت في ربط العلاقات بين الافراد من مختلف دول العالم، ويمكن تصنف شبكات التواصل من ناحية الهدف الذي تريد تحقيقه الى :

١. شبكات التنشئة الاجتماعية وهي شبكات انشئت من اجل الترفيه والتواصل وغالباً ما تستخدم للعثور وعرض قوائم الاصدقاء الموجودة على الشبكة مثل الفيس بوك وماي سبيس .

٢. شبكات التواصل الاجتماعي وهي التي تقوم من اجل ايجاد علاقات جديدة وتضم عدد كبير من اسماء المستخدمين غير المعرفة مثل موقع linkedin .

٣. الشبكات الاجتماعية للأبحار وهي وسيلة للمساعدة المستخدمين على إيجاد نوع معين من المعلومات او المصادر كما تستخدم من اجل نشر قوائم الاتصال وقوائم توفير سبل الوصول الى المعلومات والموارد المرتبطة بها^(١).

٥. مواقع الفيديو التشاركية :

يعد موقع يوتيوب من اشهر مواقع الفيديو التشاركية الذي يسمح بعرض مقاطع فيديو مأخوذة من برامج تلفزيونية او الاغاني او الافلام ، بالاضافة الى امكانية خلق فيديو وعرضه على المستخدمين وتبادل الآراء والتعليقات كما تعتبر مواقع فليكر أورسيديا وياهو وماي سبيس تي في ، من ابرز المواقع واكثرها شعبية ، كما نجد من هذه المواقع باللغة العربية منها ، كليبات مكتوب ، وهو موقع لمشاركة مقاطع الفيديو "المرئيات" شبيه باليوتيوب ، اليوتيوب النقي وهو موقع يهدف لنشر مقاطع اليوتيوب الخالية من المحاذير الشرعية ويكون مصدر المقاطع من موقع يوتيوب نفسه ، إكبس وهو افضل واغوى موقع عربي لتبادل وتحميل وعرض ومشاركة مقاطع الفيديو ، ويعتبر افضل بديل عربي لليوتيوب .

سماته وخصائصه :

١. الافتراضية : تعد اولى السمات الظاهرة للتفاعلات الافتراضية ، فالعلاقة بين الطرفين ليست علاقة انسانية كما في المجتمع الواقعي ، بل انسانية مفترضة عبر وسيط آلي وبشكل غير مباشر . وقد طرح "غاري كرونج" ان ابتكار الواقع الافتراضي ادى الى تفكيك العلاقات الفيزيائية بين افراد ويقصد بذلك التفاعلات التي تقوم على اساس الوجه لوجه ، حيث ان الانترنت يلعب دورا في التأثير في الاشخاص لانه اتاح فرصة لتكوين علاقات سهلة عبر فضائه ساهمت في تفكك ماهو تقليدي وتشكل ماهو افتراضي على المستوى العالمي والمحلي .

٢. الخيالية : ربما الخيال هو ما يبحث عنه الانسان اكثر من الحقيقة ، لأن التفاعلات المقرونة باللامعقول واللاملموس واللامحسوس تجذب الفرد والذي يعيش مجتمع العقل

(١) عبد الكريم علي الديبسي وزهير ياسين الطاهات، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام لدى طلبة الجامعات الاردنية، دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد ٤٠، العدد ١، ٢٠١٣
<https://journats.ju.edu.jo>

والحس والحساب بشكل اكبر خاصة الفئات الشابة التي تبحث عن التغير وعن الوسائط الحرة التي تخرجهم من القيود الاجتماعية والدينية والقيمية . هذا مايفسر تهافت المجتمعات المحافظة على مواقع الدردشة الالكترونية والاستفادة من الانترنت كسلعة تنفسية اكثر من علمية (١).

٣. اللامركزية : انما يميز التفاعلات الافتراضية تعددية المراكز وتبادلها لأن هذه العلاقات لامركز لها اي لا يوجد سلطة مركزية للأطراف المتنوعة خلال المحادثة عبر المنتديات او الفيس بوك وغيرها توجه الحديث او تقوده في اتجاه محدد فكل فرد يستطيع ان يكون مركز جماعته في احيان كثيرة او يقود الحوار مرة او مرات عديدة ذلك ان التفاعلات الافتراضية لا يحتكرها فرد دون آخر بل ان تبادل الادوار تؤمنه التفاعلات الافتراضية

٤. الهوية الخفية : يستطيع المستخدم ان يبتكر شخصية افتراضية يستخدمها في مجتمعه الافتراضي من خلال تقمص هوية خفية او اسم مستعار في غرف الدردشة التي قد تكون ذات مضمون سياسي او علمي او رياضي او جنسي ، وتسمح ميزة الهوية الخفية في التعبير عن النفس بصورة اكبر تبعده عن التقيد بالقواعد الروتينية التي يفرضها المجتمع الواقعي .

٥. القلق الالكتروني: تتيح التفاعلات الالكترونية بين المستخدمين قلقا الكترونيا ينعكس على الشعور الانساني من خلال ردة الفعل المتفاعلة بين طرفين افتراضيين ، فواضع صوره معينة على صفحته الفيس بوكية مثلا ، ينتظر بفارغ الصبر تعليقات اصدقائه، واذا تأخرت ردة الفعل او لم تأت ابدأ يشعر الفرد بالازعاج او بالتهميش من قبل اصدقائه ، هذا التفاعل في الاخذ والرد ، القبول والرفض ، الجواب والالجاب يخلق لدى الفرد الافتراضي قلقاً تصفه بالقلق الالكتروني .

٦. الاختيارية : يسمح المجتمع الافتراضي للفرد ان يختار "الشخص ، الموضوع ، الزمان" الذي يريده ويحدده من خلال تصفح صفحات المشتركين والتعرف على مكان

(١) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ٢٠٠١، ص ٣٠.

سكنهم و دينهم وتوجههم السياسي وهواياتهم وبرامجهم التلفزيونية المفضلة فيتكون للمتصفح انطباع افتراضي قبل التوجه الى الصديق الرقمي طالبا التعرف اليه ، فيختار المستخدم الشخصية التي تناسبه وفق المعيار المشترك ، فتأتي التفاعلات لأن العناصر المشتركة قد وجدت مسبقا .

٧. التشاركية : يظهر التفاعل التشاركي الالكتروني جليا من خلال الصفحات السياسية لاسيما الثورية منها ، التي لاحظنا تكاثرها مطلع العام (٢٠١١) بداية "الربيع العربي" والحركات الثورية والاجتماعية في العالم العربي ومن خلال تتبع هذه الصفحات تظهر التفاعلات المشتركة عندما يوحد الافراد الرقميين في قضية اجتماعية واحدة

٨. التمرد : من ضمن تشكيلة التفاعلات الافتراضية تظهر التفاعلات التمردية ، اذ تمثل شبكة الانترنت عالما متساويا يسمح للجميع بالتحدث وقد ساهمت كتابات المدونين واصحاب المواقع الالكترونية في خلق حالة تمردية لتنظيم المقاطعة او تسير المظاهرات تجسدت في العالم العربي عبر الثورات العربية مثل نموذج (anonymos) وهي حركة اجتماعية افتراضية تتسم بغياب البنية المركزية يقودها مجموعة من الناشطين الاجتماعيين ذوي هوية افتراضية ، تأسست هذه الحركة على مجموعة من الاهداف اهمها الدفاع عن الكرامة والحريات العامة ومبادئ حقوق الانسان والدفاع عن الاقليات ، كما ظهر المجتمع الافتراضي كإطار للحراك الاجتماعي تؤسسه جماعات شبابية محلية استغلت انفتاح هذا الفضاء الجديد في النزول الى الواقع للمطالبة بالحقوق والاصلاحات^(١) ، فلقد اصبح الانترنت مجالا للتعبئة السياسية في ظل القيود المفروضة عليها في الواقع اتخذت في اطارها اشكالا عديدة ابرزها المدونات والصفحات الرسمية للأحزاب والجمعيات وصفحات التواصل الاجتماعي "الفايس بوك والتويتر".

اسبابه :

ان اسباب ظهور المجتمعات الافتراضية هو السعي الى تحقيق عدد من الغايات وهي :

١. غايات دينية واخلاقية ، من خلال الدعوة وتبادل النصيحة والمواد الدينية المسموعة والمرئية والمكتوبة ، فلا بد من الحذر لانه واجب وضروري ولأن الافكار التي يتبادلها

(١) نديم منصور، سوسيولوجيا الانترنت، مصدر سابق ، ص ٢٧.

الافراد ليست بريئة من الهوى او الغرض ، لابد ان كل من له بريد الكتروني قد وصلته رسالة او رسائل فيها احاديث نبوية او احاديث قدسية، وبعض هذه الرسائل مستفز ، وبعضها فيه استخفاف بمستقبلها "انشرها اذا كنت مسلما" او اذا لم تنشرها فأنت لاتحب الرسول "صلى الله عليه وسلم"

٢. غايات تجارية من خلال التعريف والاعلان والترويج ويصدق على هذه الغايات في المجتمعات الافتراضية ما يصدق عليها في الواقع من تحايل ومبالغة وتتراوح الغايات التجارية بين التجارة النظيفة وبين غسل الاموال والاحتياال .

٣. غايات سياسية من خلال الدعاية والتحريض والتجبيش وقد عان العالم العربي ما كان لمواقع التواصل الاجتماعي من تأثير بالغ في انتقال الثورات من بلد الى آخر ومن مدينة الى اخرى .

٤. غايات تعليمية وتكون من خلال تبادل المعلومات والخبرات والدراسات والابحاث .

٥. غايات ترفيهية من خلال تبادل الموسيقى والصور والمقاطع المصورة وما الى ذلك.

٦. غايات ادبية من خلال تبادل الكتابات الادبية والآراء حولها ، فلقد اتاحت المجتمعات الافتراضية فرصا لاحصر لها لنشر هذه الكتابات التي تتراوح ما بين كتابات بالغة الرداءة وبين كتابات تستحق المتابعة والاحتفاء النقدي .

٧. غايات نفسية واجتماعية خروجاً من العزلة وسعياً الى بناء علاقات اجتماعية تشبع حاجات الافراد بوصفهم كائنات اجتماعية . (١)

٨. غايات عاطفية : قد تنتهي تلك المواقع الى تاسيس العلاقات العاطفية وقد تنتهي بالزواج ، غير ان هذه العلاقات التي تبدأ في الفضاء الافتراضي تظل تهددها الاكاذيب والالوهام ما لم تخضع لأختبارات الواقع .

٩. غايات وهمية : على الشبكة سراديب واركان كثيرة لراغبي اللذات الجنسية الوهمية التي يمكن ان تتحول الى علاقات واقعية لاتقتصر مخاطرها على الزوج بل تتجاوز ذلك

(١) ايهاب ابو سمرة ، المجتمعات الافتراضية ، ٢٠١٦/٦/28 ، <http://www.sasapost.com>

الى تدمير الأسر ورفع معدلات الطلاق في حالة ادمان الأزواج على هذه المواقع والجري وراء هذه الاوهام (١).

المبحث الرابع

سوسيولوجيا المواطن الافتراضي

المواطن الافتراضي: في البداية لو نأتي لنعرف المواطن الافتراضي او الفرد اللانترنتي او الانسوب ، فهو الكائن البشري الذي يشارك كائنا بشريا آخر ، في علاقة رقمية عبر الحاسوب ، وتكون هذه العلاقة اجتماعية ، سياسية ، اقتصادية ، عاطفية .. لكن هذه العلاقة ليست انسانية بالمطلق بل هي مركب من انسان وآلة او انسان وحاسوب ، وتجدر الاشارة ان الكائن البشري قد يجري علاقاته الانترنتية مع برنامج واقع افتراضي مثلا وليس مع افراد حقيقيين مما يجعل فردا انترنتيا يتمظهر في سلوكيات رقمية عبر الحاسوب . واول ما يظهر من سمات فردية هي الارادة القوية للتعبير عن الذات فكل من يتصفح موقعا يبحث فيه عن شئ يشبع رغبة لديه سواء كانت هذه الرغبة في الاستطلاع او اقتناء شئ ما او كسب صداقة ، او نشر خاطرة كتبها او الحصول على معرفة وهو في عملية البحث يحمل صورة عن نفسه يظهرها للآخر المفترض وجوده على الطرف الثاني للخط الواصل بين الباحث والموضوع المبحوث عنه . اما حياة هذا المواطن فهو يعيش ضمن الفضاء السايبري ، يتجول ويعيش مع افراد في مجتمعات متنوعة ، فالفضاء السايبري هو الاطار او الحيز التي تتم فيه التفاعلات والعلاقات الاجتماعية الافتراضية التي تضم في رحابها افراد من قوميات وهويات مختلفة ، لكنه في نفس الوقت يكون المواطن الافتراضي مشتركا بين جميع المواطنين في ثقافته ولغته وعاداته وسلوكه وتفكيره ... حيث لم يعد بإمكاننا الفصل بين المحلي والعالمي وبين الداخلي والخارجي من هنا نسأل : ماهي الخطوات التي شكلت ولادة المواطن الافتراضي ؟ يمكننا ان نقسم تلك ، الى اربعة خطوات اقتصادية ، ثقافية ، تكنولوجية ، سياسية .

(١) عبد العال الديربي، المجتمعات الافتراضية- التعريف التطور الغايات، مصدر سابق، ٢٠١٣/١١/٢١.

١. الخطوة الاقتصادية : بدأ يزداد الحديث عن زيادة ترابط العالم وتقاربه والغاء الحدود والفواصل بين افراده ومجتمعاته عندما بأّت الدراسات تشير الى زيادة الوعي بتكوين عالم بلا حدود ، التي تؤكّد ان البرية دخلت مرحلة جديدة اهم صفاتها ، قيام اقتصاد عالمي بلا حدود قائم على الدور الاساسي للشركات المتعددة الجنسيات ، وعلى الحرية الكاملة لأنّتقال السلع ورأس المال والخدمات والمعلومات وبأقل قدر من القيود او التدخل من قبل الدول ، ولقد شهد نظام الاقتصاد العالمي الجديد بروز مجموعة من الاتجاهات الاقتصادية الجديدة مثل تبني نظام الاقتصاد الحر ، الخصخصة والاندماج في النظام الرأس مالي كوسيلة لتحقيق النمو، تحول الاقتصادات الكبرى من التركيز على الصناعة الى التركيز على الخدمات وعليه فقد عملت كل هذه الاقتصادات الى سلعة الفرد وحصر اهتماماته بما تنتجه الشركات العالمية غير المبالية بالاخلاق والقيم الانسانية والخصوصيات الثقافية والمهتمة حصرا بالعلاقات السلعية والنفعية والربحية .

٢. الخطوة الثقافية : تشكل الاديان والأيدولوجيات مظهرا اساسيا من مظاهر العولمة الثقافية ، وقد توجهت اصلا الى كل البشرية غير مكترثة بحدود الدول او التجمعات القومية او الاثنية او الولاءات الوطنية ، ان العولمة الثقافية التي نشير اليها هي العولمة الاستهلاكية والاعلانية والاعلامية التي بلغت مرحلة الحرية الكاملة في نقل الافكار والمعلومات والبيانات والاتجاهات والاذواق على الصعيد العالمي (١).

وهذا يعني انتقال وعي الفرد من المجال المحلي الى المجال العالمي وابرار الهوية والمواطنة العالمية التي ستحل تدريجيا محل الولاءات الانتماءات الوطنية

٣. الخطوة التكنولوجية شهد الربع الأخير من القرن العشرين نقلة نوعية في عالم التكنولوجيا ، ساهمت بشكل كبير في تشكيل المواطن الافتراضي ، ولعل الخطوة التكنولوجية كانت الخطوة الابرز في تحقيق مقولة مكلوهان حول القرية الكونية ، فالانترنت ، الهواتف النقالة، المواصلات الرقمية ، المعرفة الكونية وتنوع المعلومة والمعلوماتية ، كل ذلك ادى الى امتزاج الثقافات البشرية وزوال الحدود الجغرافية ودخول

(١) محمد مختار زادني ، مقدمة في علم النفس الافتراضي ، ويكيبيديا الموسوعة الحرة ،

www.wikipedia.org/wiki ، 13\11\2009

العالم الافتراضي وذوبان الشكل والنوع والمعنى . ولقد استطاع الانترنت فعلا يدخل ضمن العالم الواحد من خلال التفاعلات على الخط والثقافة الرقمية والمنتديات على الخط والتعلم الاجتماعي ويصبح عنصرا فاعلا في المجتمع العالمي مع اصدقائه العالمين الذي بات يجمعه معهم في الكثير من القضايا الاجتماعية والثقافية .

٤ . الخطوة السياسية ترتبط السياسة بمفهوم النطاق الجغرافي والمحلي والوطني اي بمفهوم السيادة من خلال ممارسة صلاحياتها وسلطاتها على شعبها وارضها وثرواتها والدولة القومية هي نقيض العولمة لان العولمة تعمل على انتزاع سيطرتها التقليدية على مجالها الوطني والمحلي وفي ظل الاقتصاد العالمي وتوحد الثقافات بات من المنطق الكلام عن الحكومة العالمية وانتقال القرارات والتشريعات والخيارات من المجال المحلي الى العالمي وخروج النشاط السياسي عن الدولة وحدودها ، فأصبحت الدولة كما يوضح ريتشارد فولك ، مجرد وحدة ضمنبكة من العلاقات والوحدات الكثيرة فيعالم يزداد انكماشاً وترابطاً فلم تعد الدولة هي مركز السياسة في عالم العولمة بل باتت جزءاً من كل سياسي تمارس سلطتها رسمياً لآكن عملياً ، فأنها مرتبطة بالسياسة العالمية التي توجه المواطن الافتراضي^(١)

اما عن مميزات المواطن الافتراضي "جيل الشباب الرقمي" فحين يحدث التفاعل تتشكل الثقافة الآلية ويصنع مستخدمو الانترنت مجتمعاتهم الخاصة انطلاقاً من خلفياتهم الثقافية الطبيعية مما ينتج ثقافة ممزوجة بثقافات عديدة يتفاعل فيما بينها لأننتاج وثقافة الانترنت التي ادت الى ظهور مميزات خاصة بالمواطن الافتراضي يمكن ايجازها بالنقاط الآتية :

١ . اظهرت الدراسات ان دماغ الجيل الرقمي مختلف فيزيائياً وكيميائياً عن دماغ الجيل السابق وان عقولهم مستمرة في التغير من خلال زيادة المحفزات الالكترونية من حولهم ، وقد اظهرت ان الدماغ الانساني وبشكل متواصل يعمل على اعادة تشكيل نفسه طول

Richard falk. on humane governance: toward anew global politics: the (١) world order models, project report of the global civilization initiative (university park PA: Pennsylvania state university, press: Cambridge , U.K polity press, 1995.

الحياة اعتمادا على المثيرات التي يتعرض لها ودرجة كثافة وثرأ هذه المثيرات التي تعيد برمجة خلايا الدماغ والتي تسمح بمعالجة البيانات والمعلومات التي يتلقاها بطريقة مختلفة ، هذا مايجعل جيل الآباء يستغربون قدرات اطفالهم الذهنية وتفاعلهم مع الالعاب الالكترونية او تفوقهم على جيل الكبار في استخدامها احيانا .

٢. قدرة هذا الجيل على القيام بأكثر من مهمة في وقت واحد مثل قدرته على قراءة صفحات الكترونية عديدة من خلال الانتقال بين النوافذ اي الخط السفلي للكمبيوتر واستماعه الى الموسيقى وتواصله مع رفاقه خلال الدردشة ، وفتح ملفات والانتقال من محيط معلوماتي الى آخر كل ذلك في وقت واحد وبشكل سريع .

٣. التميز بقدرات بصرية مذهلة من خلال التعامل مع الالوان بشكل تلقائي ، وهذا ماتبين خلال الدراسات ان الجيل السابق خلال القراءة السريعة ، يقرأ من اول الصفحة الى آخرها ويفضل خلفيات بيضاء للورق بينما الجيل الرقمي يتصفح الصفحات من تحت الى الاعلى ويفضل القراءة من خلال الخلفية الزرقاء والحمراء .

٤. السرعة في ردة فعلهم في التعبير والتفاعل والتواصل والطباعة خلال الدردشة والتي تتطلب قدرات ذهنية مميزة .

٥. قدرتهم على الابداع والابتكار ، بعد ان كان الجيل السابق يعتمد على الحفظ وتنشيط الجزء الايسر من الدماغ من خلال المدرسة التقليدية بينما الجيل الرقمي ينشط الجزء الايمن من الدماغ من خلال خلقه لخيارات غير منطقية وحلول ابتكارية خلال الالعاب الالكترونية او برامج كومبيوتر التي تحتاج الى قدرات ذهنية من نوع جديد .

٦. يتعرض ابناء الجيل الرقمي الى ضعف في علاقاته الاجتماعية في الحياة الواقعية وعدم قدرتهم على التواصل بشكل سوي وهذا مايؤكدده طبيب الامراض النفسية في الاجتماع السنوي ، ان المراهقين الذين ولدوا عام (١٩٩٠) لا يعرفون عالما آخر غير الابحار في شبكة الانترنت وبالتالي فقد يكون لديهم رؤية مشوهة للواقع وعن علاقاتهم الاجتماعية (١).

(١) نديم منصور، سوسيولوجيا الانترنت، مصدر سابق، ص٣٦.

٧. لا يميز أبناء هذا الجيل بين أفراد مجتمعهم الرقمي ، حيث لا تشكل الثروة او الاختلافات العرقية او الجنسية اهمية تذكر لديهم .

٨. يتفوق هذا الجيل بمهارات استخدام الانترنت ، الا ان هدف الاستخدام يتجه غالبية نحو الترفيه والتواصل والعلاقات الجنسية ، مما يزيد من نسبة الانحرافات السلوكية والاخلاقية وتراجع الارتباط بالمؤسسات الدينية . ما نستقراه من المميزات السابقة ان هذا الجيل وهو الجيل الرقمي سيختلف في صفاته الفيزيائية والاجتماعية والسلوكية والثقافية عن الاجيال التي سبقته بفعل محاولة تنميط المجتمع العالمي ضمن نمط واحد لامنازع له عن طريق ثقافة الانترنت لكونها تزود الافراد بأنماط سلوكية واذواق وافكار وعادات وقيم مشتركة.

الهوية الافتراضية : من اكثر الموضوعات التي اثار اهتمام الباحثين هي قضايا الهوية والشخصية الوطنية ذلك ان الذات الخاصة للمجتمع باتت تسلب من ذات الفرد وتتحول الى ذات كونية ، اي ان الهوية هي خاصية الفرد التي يتميز بها عن خاصيات الآخرين وبالتالي هي معنى المجتمع وصورته . وهي مجموعة المميزات الجسمية والنفسية والمعنوية والثقافية والمعنوية التي يستطيع الفرد من خلالها ان يعرف نفسه وان يقدم نفسه ويتعرف الناس عليه والتي من خلالها يشعر الفرد بأنه موجود كأنسان له جملة من الادوار والوظائف التي من خلالها يشعر بأنه مقبول به كما هو ، من طرف الآخرين او الثقافة التي ينتمي اليها، وخاصة في ظل تجليات العولمة الاقتصادية والثقافية والسياسية ، وبالتالي سوف يخسر المجتمع مواطنيه الحقيقيين لصالح مجتمع آخر. لذا نسأل اين الهوية الوطنية في ظل تشكل المواطن الافتراضي وسيادة القيم الفردية ؟ فلا بد من الاشارة وتحديد الهوية الوطنية التي تدل على ميزات مشتركة اساسية لمجموعة من البشر تميزهم عن مجموعات اخرى ، فهم لا تؤثر عن كونهم مجموعة وتجمعهم الارض واللغة والتاريخ والمصالح المشتركة اي ان الهوية هي خاصية الفرد التي يتميز بها عن خاصيات الآخرين وبالتالي هي معنى المجتمع وصورته (١).

(١) شرقي رحيمة، الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد ١١، ٢٠١٣ <https://dspace.univ-ouargh.dz/bitstream/handle/123456789/123456789>

ضمن الاطار الكوني الانساني نلاحظ ولادة الهوية الكونية في مجتمع الانترنت وهي التي يشوبها الكثير من الغموض والتعقيد وذلك لأنها هوية لا يحدها حدود جغرافية سابعه في الفضاء السايبري تتفاعل مع المواطنين الكونين الآخرين انطلاقا من خلفيات متعددة يمكننا تحديدها بثلاث خلفيات (١)

١. الاطار الذاتي للشخصية اي "هويته الوطنية المحلية"

٢. الاطار الافتراضي للشخصية "اي هويته الافتراضية العالمية"

٣. الاطار الثقافي الطبيعي الذي ينطلق منه المواطن الافتراضي نحو الاطار الكوني الاوسع

لكل من هذه الاطر خواص تحدد هوية ما للمواطن الافتراضي خاصة ان الخصية الافتراضية بإمكانها ان تتمثل بشخصيات مزيفة تتفاعل هذه الهوية الرقمية حسب البيئة الالكترونية ويظهر هنا مضمون هذه الهوية من خلال التفاعل النصي او الصوتي او المشاعري عبر الرسومات للتعبير عن الافكار والمواقف الفردية والجماعية ويؤمن هذا التفاعل الرقمي للمواطن الافتراضي الكثير من الثقة والراحة وذلك لاعتبارات عديدة لعل ابرزها ان التواصل الافتراضي هو تواصل غير مباشر يسمح للفرد بتجسيد افكاره بالطريقة التي يرغب بها خاصة في ظل مجتمعاتنا التي تعاني الانقسامات السياسية والطائفية التي تفرض الكثير من الاحكام المسبقة على الاشخاص ، يعتبر هذه الخصيات عن رغباتها وطموحاتها ، ومن الطبيعي ان يشوب العلاقات التي تحققها هذه الشخصيات الكثير من الكذب "مثل العمر الجنس الوظيفة المكانة الاجتماعية الطبقة الاجتماعية" وهذا يسمح الى المزيد من الاندماج الاجتماعي خاصة للحالات التي تعاني عقدا اجتماعية نتيجة اعتبارات طبقية عنصرية او اصحاب العاهات الجسدية او النفسية الخجولون او الذين يعانون من عدم استلطاف الآخرين ، كلها نماذج اجتماعية قد تجعل من الفضاء السايبري وطننا واسعا مثاليا للعيش افضل من الوطن الحقيقي والمعقد .

(١) محمد ابن سعد التميمي ، العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة ، دار النهضة ، مصر ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٧ .

هذا ومن بعد ان يشعر المواطن الافتراضي بالانتماء الى موطنه العالمي الذي يحرره من الكثير من القيود الاجتماعية والثقافية والعرقية وبالتالي سوف يدخل في "العقل الجمعي الالكتروني" الذي يتكون من تفاعلات العقول البشرية والعقول الآلية . وان للعقل الجمعي اسلوب في تنشئة افراد الافتراضيين الاول تلقائي والثاني قصدي ، فما معنى ذلك ؟

في الاسلوب الاول التلقائي ، تظهر تفاعلات عقول الافراد والجماعات الافتراضية التي تتمظهر بحرية لأبراز الابداعات الفردية مثل اعداد صفحات خاصة بالافراد من مختلف الفئات العمرية والجنسية مما يفتح المجال واسعا امام الشعور بالمساواة واطهار الفرد شخصيته للعالم بالصورة الذاتية التي يراها ، هذا ويؤدي بدوره الى تحقيق اعلى مستوى من الانفتاح الذاتي على العالم من خلال حوار الانسان مع اخيه الانسان في أي مجتمع كان واي زمان اراد فتنبرز الشخصية الكونية للأفراد بالمستوى الافتراضي من خلال شخصية العقل الجمعي الالكتروني . اما الاسلوب الثاني القصدي ، فهي تنشئة مخطط لها من قبل منظمات ومؤسسات معينة تعمل على تأطير العقل الجمعي بأنماط محددة من التفاعل والتواصل مثل المنظمات العلمية والتعليمية او المؤسسات والشركات التجارية او قد تكون القوى التكنولوجية للدول المتقدمة التي تصنع المخططات الاتصالية العالمية مثل بروتوكولات الاتصال والبرمجيات والمخططات السياسية والاقتصادية العولمية التي يقوم بها بعض التكنوقراطيين الموهوبين فتوجه الافراد الانترنيتيين للعمل وفق قواعد هذه التقنيات مثل برامج محركات البحث او برامج الالعاب الالكترونية .

لذلك فان ازمة الهوية اصبحت ظاهرة عالمية وقدر كثير من الشعوب يمثل هذه الازمة ، فقد جاءت لتؤكد مقولة العولمة "لاوجود لهوية ثابتة في العالم" مما يدل على خطورة هذه الازمة ، فقد اظهر احد الكتاب لأهمية الهوية في حياة المجتمع بقوله "لأخشى على امتنا ان يضرها اعداؤها بالقبلة النووية لأنها ستفتك ببضعة ملايين من البشر، وانما أخشى على هوية امتنا وحضارتها وثقافة شبابنا وترابط اسرنا وقيمنا وانماط

سلوكنا الاجتماعي من القنبلة الاجتماعية والثقافية التي تنذر بالانهيار الثقافي والتفكك الاجتماعي لأمتنا" (١)

المجتمع الافتراضي والقيم المجتمعية في المنظار السوسيولوجي:

يعيش العالم اليوم في افق وفكر يختلف عن فكر وثقافة العصور السابقة ، فاذا كانت العهود السابقة هي عهود الأيمان والثقة واليقين ، فان هذه المرحلة اهم ملامحها عدم الثقة وعدم اليقين ، اذ تتجه هذه المرحلة نحو التفتت ما هو نظري على المستوى الكلي ويتجه التفسير نحو التفسيرات الجزئية المفتتة عن الواقع الاجتماعي ، فالتنظير السوسيولوجي عاش تحت وطأت التفسيرات الكلية لفترة كبيرة وخرج في هذا الاطار نظريات تحاول ان تفسر انساق قومية من خلال مقولات ذات طابع كلي ، منها ما يؤكد ان المجتمع في حالة من التوازن ومنها ما يؤكد على عمليات الصراع ، وجميع التفسيرات ترتبط بالمجتمعات والانساق التي خرجت منها . اما المرحلة الراهنة عالميا وعربيا ، اذ انها الرئيسية هي تكنولوجيا المعلومات ومنظومة الحاسبات والاتصالات والمنتج الرئيسي الذي تنتجه هو المعرفة والمادة الاولية هي الموارد الذهنية ، وعند توصيف هذه المرحلة الراهنة فهي مرحلة تفكك العلاقة ما هو ثقافي وما هو اجتماعي ، فهو انحلال الوسائط التقليدية لما هو ثقافي واجتماعي ، اي تشهد هذه المرحلة تشظى الاجتماعي والثقافي والتفكك والتفتت ولا هدف واللامعنى ، ان هذه الظاهرة لها تفسيرها السوسيولوجي ولكن من المؤكد ان وحدات التحليل التقليدية كالأُسرة والقبيلة او الدولة او الطبقة او المهنة لم تعد وسطا نشيطا في توضيح العلاقة بين ما هو ثقافي وما هو اجتماعي ، خاصة في ظل الظروف العالمية التي تشهد تحولات بظهور متغيرات جديدة فاعلة تلعب فيها المعرفة والمعلومات دوراً رائداً .

فلو نظرنا الى حقيقة المجتمعات الافتراضية ندرك ان هذه المجتمعات لا تتعامل مع نسق قومي مغلق محدد الابعاد بل تتعامل مع نسق عالمي يجمع بين الافراد الذين انخرطوا في تجمعات افتراضية ، وهي نتاج لعمليات التفتت المستمر التي تخضع لها

١ اسحق احمد فرحان ، الشباب والتحديات الثقافية طرق الوقايا والعلاج ، دار الفرقان ، عمان ، ٢٠٠٣ ،

القوميات والمجتمعات الإقليمية . اذن هناك قيم يعاد تشكيلها على المستوى الواقعي وعلى مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي من ابرزها الاسرة بشكل خاص (١).

نستخلص مما سبق ان المجتمعات الافتراضية تشكل بوابة جديدة للتفاعلات التي تخرج عن اطار التفاعلات المحلية التقليدية الواقعية وايضا اختصار للمجتمع الحقيقي التاريخي وسلب لبعض انشطته واختصاصاته، لكن هذا في النهاية لايعني ان المجتمع الافتراضي سيزيح المجتمع الواقعي ليحل محله.

المبحث الخامس

العلاقة بين المجتمع الافتراضي والمجتمع الواقعي وواقعية العلاقات الافتراضية

العلاقة بين المجتمع الافتراضي والمجتمع الواقعي :

يشير عدد من الباحثين الى انه بظهور الانترنت كوسيط اتصالي اصبحنا نعيش في مجتمعين او عالمين احدهما اطلق عليه المجتمع الواقعي او مجتمع خارج الانترنت وهو المجتمع القائم على التواصل عبر الاتصال الشخصي بين الافراد والآخر يطلق عليه المجتمع الافتراضي وهو المجتمع القائم على التواصل بين الافراد عن بعد عبر الانترنت ، وقد حاول عدد من الباحثين تحديد ماهية العلاقة بين هذين المجتمعين وكيف يمكن ان يؤثر كل مجتمع على الآخر ، وقد انقسمت آراء الباحثين الى ثلاثة آراء حول هذا الموضوع الرأي الاول: الذي يتبناه مجموعة من الباحثين امثال "إليكينز" يرى انه من الطبيعي مع هذا التطور التكنولوجي ان ينشأ المجتمع الافتراضي الذي يعتبر فرعاً صغيراً من المجتمع الواقعي ولا يغني عنه .

الرأي الثاني الذي يتبناه مجموعة من الباحثين ، امثال "الكسندر و لوكارد" يرى ان انغماس الفرد في مجتمع الانترنت يجعله اكثر بعدا عن الآخرين من المجتمع الواقعي ويجعله محصوراً مكانياً في مكان تواجد الانترنت ويخلق نوعاً من الفردية مع ذاتهم مما يجعل الافراد اكثر تركيزاً مع ذاتهم ويصبح التواصل بين الافراد مرتبطاً بالشخصية والذات اكثر من التواجد بالجسد .

(١) وليد رشاد زكي ، المجتمع الافتراضي دراسة في ازمة ومنظومة قيم الاسرة المصرية ، ٢٠١٣ ،

الرأي الثالث الذي يتبناه باحثون امثال "ويل مان و دامرو" يرى ان المجتمع الواقعي والافتراضي مجتمعان يكملان بعضهما لبعض . وهناك تفاعل واعتمادية بينهما ، فالفرد يمكنه ان يتعرف على اشخاص جدد وتتطور هذه العلاقات في المجتمع الواقعي والعكس صحيح ، حيث يساعد مجتمع الانترنت بتقوية العلاقات بين الافراد في المجتمع الواقعي . ويفسر بعض العلماء وجود هذه المجتمعات تعمل على فقدان التواصل الحقيقي كما ان وجودها يعمل على تخلص الانسان من قيود المجتمع الحقيقي الطبيعي حيث يجد فيها ذاته وهويته كما ان هناك ثقافة خاصة يمارسها الافراد داخل المجتمعات الافتراضية تحمل من الخصائص والسمات الفردية مما جعل العاملين في العلوم الاجتماعية يطلقون عليها "ثقافة الانترنت" ويمكن ان نفرق بين المجتمعات الافتراضية والواقعية استنادا الى فكرة من الافكار المؤسسة في علم الاجتماع والتي تقسم فيها المجتمعات والتنظيمات الاجتماعية اجمالا الى صنفين كبيرين هما بتعبير "اميل دور كايم" المجتمعات التلقائية او الآلية والمجتمعات العضوية وهما بتعبير غيره ، المجتمعات الطبيعية والمجتمعات العقلانية . الصنف الاول يتسم بالثبات والترتيب الهرمي الذي يستند الى الطبقة والمكانة الاجتماعية اما الثاني فيتصف بالمرونة والتغير كما يتصف بالارتباطات الارادية الاختيارية لا الارتباطات القدرية الطبيعية كالأبوة والأمومة (١)

وتقوم المجتمعات التلقائية على الكثافة او الازدحام وتشكل فيها العلاقات من خلال السن وعلاقات الدم والنسب والمناصب الوظيفية وغير ذلك ، بينما تقوم المجتمعات العضوية على التلاحم والمحاولات الواعية المقصودة لتحقيق الترابط ، كذلك من بين الفروقات بين المجتمعين نجد ان المجتمع الافتراضي يتحرر من "التقييد والتقليد والتحرير" التي ترسم محددات وتجليات حياتنا في الواقع . فعلى صفحات وسائل التواصل نحذف صديق "واتسابي او معجب فيسبوكي" وهذا لا يحتاج الا بضعة ثوان دون خجل او خوف ، ومهما علا سقف الغزل عبر شاشات سكايب او فاير فهو لا ينطوي على عيب ويبقى مقبولا طالما انه لا يرى من اخ او اب او ام او حتى زوج ، حيث جعل التواصل الاجتماعي تعبير الخيانة فضفاض جداً او على الاقل حصره في الفعل الجسدي فقط .

(١) ايهاب ابو سمرة، المجتمعات الافتراضية، مصدر سابق، ٢٠١٦/١٢/٢٨.

خوات الحب لايحتاج الى محرم وعلان الوهابية او الليبرالية والشيوعية لايحمل اي تبعات قانونية او شرعية (١). وفي نفس الوقت يرى البعض في التحرر من سلطات التقيد والتقليد والتحرير افتراضيا ظاهرة سلبية وجرت نتائج وخيمة على مجتمعاتنا المحافظة غير المهينة لكل هذا الكم من الانفتاح فالكثير من حالات الطلاق والاختلاف والفشل تسببت بها وسائل التواصل الاجتماعي ، في النهاية لا تزال المعركة بين المؤيدين والمقاومين للسلطات الثلاث في بلادنا محصورة في وسائل التواصل الى حد بعيد.

العلاقات الاجتماعية الافتراضية وواقعيتها :

من تجليات العالم الافتراضي التي اهتم علماء الاجتماع بدراستها ، ظاهرة العلاقات الاجتماعية الافتراضية وتشكل المجاميع الاجتماعية الافتراضية و اوضح مثال لها شبكات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك وتويتر . لو نأتي الى العلاقات الاجتماعية في علم الاجتماع تقسم الى مجموعتين وهي العلاقات الاولى او مايعرف بعلاقات الوجه لوجه او العلاقات الشخصية القائمة على معرفة الفرد بالآخر مثل العلاقات في العائلة والمجموعة القروية ومجاميع الجيرة وهي علاقات تتسم بعدم الرسمية والثقة بالآخر وتحكمها ضوابط السلوك غير الرسمية كالقيم والعادات والتقاليد وتمثل محيطا لنمو وتكامل شخصية الفرد ، اما النوع الثاني فهو مايعرف بالعلاقات الثانوية التي تربط مجموعات اجتماعية كبيرة مثل طلبة جامعة او عمال مصنع او طبقة اجتماعية وهي علاقات تتسم بالرسمية في التعامل مع الآخر وعدم منح الثقة بدون تمحيص وتحكمها ضوابط السلوك الرسمية كالقوانين ومؤسسات العقاب وتمثل محيطا غير معروف او غير محسوس التأثير في شخصية الفرد. اما النوع الثالث من العلاقات فهي علاقات العالم الافتراضي الجديد التي اعتبرها علماء الاجتماع وسيطا بين النوعين حيث يشعر الفرد بأن مجموعته الافتراضية قريبة منه وعلاقته بهم شخصية ، الا ان الواقع الفيزيائي يخبرنا بغير ذلك ، فالفرد مفصول عن مجموعته بألاف الكيلو مترات بالإضافة الى احتمالات الكينونة غير الحقيقية للأفراد ، كما ان وسائل الضبط الاجتماعي مازالت غير واضحة المعالم ، تتراوح

(١) وسائل التواصل الاجتماعي وواقعية العلاقات الافتراضية، ٢٠١٥/٨/٢٦

بين النمط غير الرسمي القائم على الاعراف والتقاليد والنمط الرسمي القائم على قوانين شركات الانترنت او شبكات العالم الافتراضي ، وقد لاحظ الباحثون ان للفضاء المفتوح تأثيرات كبيرة في حق حرية الرأي والتعبير فبعد ان كانت وسائل الاعلام من صحف واذاعات وقنوات تلفزيون حكرا على الحكومات ، بات العالم اليوم يعيش فيما يعرف بزمان المواطن الصحفي حيث بإمكان اي فرد ان ينشئ مدونته الالكترونية او قنواته التلفزيونية على اليوتيوب ويبحث مايشاء عليها ، وبالتالي تعرضت منظومات القيم المجتمعية الى هزة عنيفة تحتاج انساقها القانونية الى الضبط والتعديل لردم الفجوة الثقافية الحاصلة بين التقدم التكنولوجي والاحكام القيمية القديمة ان هذا التقدم التقني كان المحرك الاساسي فيما شهده عالمنا العربي في الحقبة الاخيرة من ترميزات وتظاهرات عرفت بالربيع العربي حيث لعبت التقنيات الحديثة والفضاء الافتراضي دورا محوريا في انطلاق هذه الانتفاضات رغم كل ما قيل بشأن هذا الحراك وكونه مؤامرات خارجية تقف وراءها اجندات تحاول تدمير استقرار المنطقة^(١).

وختاما لهذا الموضوع يمكن ان نميز واقع العلاقات الافتراضية بعدة سمات :

١. الانقطاع : ان العلاقات الافتراضية تشجع على انقطاع الافراد مع اسرهم ومع الاصدقاء مما قد يؤدي الى تغير في بعض القيم الاسرية وتستهلك وقت الفرد في علاقات تخرج به عن اطار العلاقات الفيزيائية لتسبح بالفرد في فضاء جديد هو الفضاء الالكتروني .

٢. تعدد المراكز وتبادلها : تتسم التفاعلات الاجتماعية على المستوى الافتراضي بتعددية المراكز وتبادلها فهذه العلاقات جميعها تخرج من السيطرة فمن داخل المنتديات او غرف الدردشة لا يوجد سلطة مركزية توجه الحديث فكل فرد يستطيع ان يكون مركز الجماعة^٢.

٣. الاخفاء : معظم العلاقات الاجتماعية الافتراضية هي علاقات مزيفة يكونها الفرد وينتقل بين الهويات والشخصيات وقد يدخل في مسميات مختلفة فيدخل الذكور باسماء الاناث احيانا .

(١) صادق الطائي، سوسيولوجيا العالم الافتراضي، 2016\24، www.walkuds.co.uk

(٢) وليد رشاد زكي، المجتمع الافتراضي نحو مقاربة للمفهوم، 2015\15\9، socio, montadarabi.com

٤. التفكك : احدثت التفاعلات والعلاقات الافتراضية في تفكك العلاقات التقليدية وفي التأثير على الحياة الاجتماعية الفعلية .

٥. التمرد : لقد فتح الفضاء الرمزي مجال جديد للتمرد والحركات الثورية والتحررية اذ ان من ضمن تشكيل التفاعلات الافتراضية ، تفاعلات تمردية فالفرد يستطيع ان يقول ما يريد خارج الضوابط التقليدية ، فالتمرد على هذا فتح الباب امام تمردات اسرية من الابداء وخاصة الذين يعيشون في حالة المراهقة حسب الافتراضات النظرية لمرحلة المراهقة .

لقد باتت مؤسسات المنظومات المجتمعية القديمة اليوم ، تسعى بأن تجد لها مكان في العالم الافتراضي الجديد فكل الصحف والقنوات التلفزيونية انشأت لها روابط ومواقع وصفحات تواصل في العالم الافتراضي وحتى المؤسسات التقليدية والمحافظة في مجتمعاتنا كالمؤسسة الدينية سعت بجد للحصول على مكانها في عالم افتراضي مازالت تتوجس منه ونحن نرى اليوم صفحات ومواقع ومدونات لشيوخ وقساوسة ورهبان ورجال دين من كل الاديان يروجون بخدماتهم الدينية عبر الفضاء الجديد ، وهذا يعني محاولة القائمين على منظوماتنا القيمية التأقلم على الواقع الافتراضي عبر خلق تعاملات مع التدين وفق النمط الخاضع للتقنيات^(١) .

(١) وليد رشاد زكي، المصدر السابق، ٢٠١٥/٩/١٥.

النتائج التي توصل اليها البحث :

١. ان ثورة الاتصالات والمعلومات ولدت انعكاسات عميقة على البناء الاجتماعي لجيل الشباب والتأثير على وعيهم الجماعي تجاه المجتمع الانساني .
٢. التفكك الذي حصل في الابنية التقليدية والنسق القديم ، اضعف ارتباط الافراد والخاصة ان المواطن العربي في ازماته الراهنة بدأ يبحث عن نسق جديد يتحصن فيه من قيم جديدة واساليب عيش جديدة وهو الفضاء الرمزي .
٣. ان المجتمعات الافتراضية هي اختزال للمجتمعات الحقيقية وسلب بعض غاياته وانشطته ، فكلما ازداد تفاعل الفرد وارتبط بالمجتمع الافتراضي ازداد انفصالاً عن الواقع المعاش وضعف مشاركته في المجتمع الحقيقي فتتأثر حياته الاجتماعية .
٤. احدث الانترنت تغير في منظومة القيم الاجتماعية للأفراد ، اذ يعزز القيم الفردية بدلا من القيم الاجتماعية وقيم العمل الجماعي المشترك الذي يمثل عنصرا هاما في ثقافتنا .
٥. اغلب مستخدمي الانترنت كونوا عن طريقه علاقات افتراضية وفي الكثير من الاحيان يشعرون فعلا بأن هذه العلاقات بديلة عن علاقاتهم الحقيقية الواقعية .

التوصيات والمقترحات :

١. فتح باب الحوار الاسري واقامة جسور الاتصال وتوثيق العلاقات بين افراد الاسرة ، حتى لايفسح المجال بأن تكون العلاقات الالكترونية بديلا عن العلاقات الاسرية .
٢. بلورة مفاهيم وتصورات ومراكز ، تكون اساسا لعلم اجتماع جديد مثل علم اجتماع الاتصال او علم اجتماع المعلوماتية .
٣. لايمكن الاستهانة بما يظهر في المواقع الافتراضية ، تبرر انه لايمت للحقيقة بصلة ، فما يظهر في المواقع الافتراضية من منشورات واساليب تشكل شخصية الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه .
٤. الاهتمام الاعلامي بالانترنت وبيان تأثيره ومخاطره وذلك عبر القنوات الفضائية والندوات والمؤتمرات التي تساعد على نشر الوعي وكيفية استخدام الانترنت والتعرف على ايجابياته وسلبياته .
٥. ترسيخ روح المواطنة والولاء للوطن وحب اللغة العربية والتمسك بتعاليم الدين والقيم حتى يتم تحصين الافراد من اي مؤثرات قد تواجههم اثناء استخدام الانترنت .

٦. بناء استراتيجية وطنية تقوم على روح الاعتدال والتعقل في التعامل مع الانترنت بعيداً عن المقاطعة والانعزال ورفض التطور والتقنية وبعيدا عن الاستسلام الكامل لها والذوبان في مظاهرها .

Sociology of the Virtual World analytical study***In sociology of communication*****Inas Mahmoud Abdullah****Abstract**

The digital space has brought about a qualitative leap not only in the field of social communication, but in the results and impact of this communication on the value system for its users. This communication has impressive results in the humanitarian, social, political and cultural fields to the extent that it has caused one of the most important factors of social change locally and globally, To communicate and speed in the delivery of information so that traditional spaces no longer have the ability to make this change, but stand helpless to the direct and effective impact of the social networks, which have an impact on our values and customs and traditions and traditions Thanks to the social networking network, many communication spaces have been formed, which are virtual places where people deal with these spaces as a place to feel, to exercise freedom of expression and to exchange ideas and knowledge. More precisely, it is formed by what is known as the "virtual home" ideal. Hence, the objective of the study is to introduce this society and its concepts and to identify the social relationships. Significant results have been reached, among them, the digital revolution and the communications generated profound reflections on the social structure of the youth generation and the impact on their collective awareness towards the human society as well as the disintegration of the traditional buildings and the old style. The weak link of individuals, especially that the Arab citizen in his current crises began to search for a new style, This new layout is symbolic space. The contents of this study included five topics, the first topic included the concepts of study and previous studies. The second topic is the virtual world and its society.